قسم اللغة والأدب العربي_جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (الأدب الجزائري) السنة ثالثة ليسانس، تخصص: نقد ومناهج

إعداد الأستاذة:حسناء بروش

المحاضرة رقم: 05

يوم: 2021/02/10

الأفواج: 01-02-03-04

عنــوان المحاضرة: مصطفى محمد الغماري/ التصوف الثائر

إن صوفية الغماري في أغلبها ثورة وصراع وجدل احتدم بينه وبين شعراء الاشتراكية الذين اتهموه بالسلبية والهروبية كما جاءت تجليات ومشاهدات يبلغ الغماري من خلالها رحاب الله، وقد تأتي رامزة لغزل صوفي أو شكر ذاتي أو خمرة عرفانية، أما صوفية الثورة والصراع والجدل فهي الأصل في كل ما كتبه الغماري من مكابدات روحية وأشواق إيمانية ظلت تنهل من مصدر أساسي جاء وفقه كل ما كتبه الغماري من شعر وهو الرفض الثائر المعلن ضد من خاصمه حضاريا:

أُحَارَبُ في ديني وفكري ومذهبي

وأرمي بذور القول في كل مشعب

وما أنا إلا غصة في حلوقهم

وحشرجة الأقدار في صدر مذنب

وما أنا إلا النار تشوي قلوبهم

وإلا الضحى يرمي بأشلاء غيهب

بهذا الرفض الثائر تكون صوفية الغماري الثائرة:

ما كنت لولا الهوى الناري أغنية

صوفية يتصباها السن الخضل

وبهذا الرفض أيضا يدخل الغماري عالم الصراع الذي خاضه مع شعراء الاشتراكية الذين أثروا المشروع الماركسي فكرا وشعرا. يقول:

قالوا التصوف بدعة من شر أخلاق الهنـــود

قلت التصوف يا فتى شوق الخلود إلى الخلود

لولا التصوف لم يكن سر الوجود ولا الوجــود

لم يعرفوا كشفا ولا عرفوا الشهادة والشهـــــود

فتململوا زمرا يتيه بها الصعيد إلى الصعيـــد

وتأتي إلى صوفية التجلي والمشاهدة التي نجدها مبثوثة في دواوينه، ففي قصيدة (وحدي مع الله) يبدو حنين الغماري إلى الإسلامية المغيبة وفي حنينه يتجسد العشق أو الدهش الذي يبدو خصبا متناميا لدرجة أنه يذهله عن كل حس غير حضور الحبيب (الله)، والحبيبة (العقيدة) ثنائية مميزة لصوفية الغماري التي تغمره بنشاط روحي دفاق.

نهر اليقين على الآفاق منسكـــــب ما للظنون تريـد الكـون صحـــراء

كشــف تـــــجلي على الأبعـــــاد فانكشفت للعاشقين مرايا كفّ صماء

رأيت ما لم ير العذال يا بصـــــري مـــا قيمـــة الـعين إذ ترتد عميـــاء

فبت أروي الحنين الرطب في سحري وأحمـــل العاشقيـن الجمر والمـــاء

ما أعظم الكلمة الخضراء تخلقـني نـــارا ونـــورا وآلامـــــا وأهـــواء

والملاحظ في صوفية التجلي والمشاهدة عن الغماري أنها تحتوي على مفردات الغلو الصوفي كالسكر والعشق وهتك الستار... لكنها لا ترقى لتشكل الظاهرة في شعره، فلا نجد فيها تلك المراتب التي دأب على نهجها بعض المتصوفين الأوائل كالحب في الله. السكر الصوفي وزوال الحجب وغلبة الشهود والمعرفة.

وهذا ما يجعلنا نذهب إلى القول أن تجربة الغماري الصوفية لا تعدو أن تكون جيشا جارفا إلى الإسلامية. تصوفه ليس كتصوف الخرق البالية أو أهل المكابدات التي دأب على نهجها قوم اعتقدوا بالحلول فانحرفوا، يقول الغماري:

ولست بالهادر الصوفي تعلكه في سطحة الوهم أوراد وأذكار

ويبقى بعد هذا أن نقول إن صوفية التجلي والمشاهدة قد لا تتم لدى الغماري إلا في إطار الرؤية الشعرية بعيدا عن الرؤية الصوفية، ذلك لأن الفرق واضح بين الرؤيتين (فبينما يفترض في التجربة الصوفية بلوغ حال الفناء في العالم الامتزاج به، بحيث تتوحد كل تناقضاته ويغدو شيئا شفافا خاليا من الصراع، قد لا يفترض في التجربة الشعرية بلوغ هذا المدى في جميع الأحيان إلا عند القليل من الشعراء.

قائمة المراجع:

-عمر أحمد بوقرورة: دراسات في الشعر الجزائري المعاصر.